لتلاعب النفسي وإدارة التوقّعات من قبل الإعلام الإسرائيلي والأميركي خلال الحرب على لبنان

المحتويات

مقدمة.. 2

أوّلاً: التلاعب النفسي. استراتيجيات وتقنيات.. 2

1. قلب الأدوار وتزوير الحقائق... 3
2. تدفيع الثمن للجميع (استهداف المدنيين والمطاعم والمراكز والمباني والمدن).......... 3
3. التخويف والتهويل (تدمير المباني والأحياء والمجمّعات).. 4
4. فيديوهات توثيقية مصوّرة للضغط النفسي والإيلام.. 6
5. إخفاء الخسائر الإسرائيلية 6
6. المضايقة الفكرية 7

ثانياً: إدارة التوقعات.. 8

1. التحديد الاستباقي لنتائج وتأثير العمليات العدوانية.. 8
2. التضليل والخداع.. 9
3. التوقّعات حول أمد الحرب 9
4. التوقّعات حول نتائج الحرب.. 11
5. التوقّعات حول نتائج المفاوضات.. 11
6. التوقّعات حول التداعيات السياسية للحرب... 13
7. إدارة التوقعات في الإعلام الأميركي... 14

خاتمة وتوصيات 14

مقدمة

من الطبيعي أن يلجأ العدو الإسرائيلي ومن خلفه أميركا الشريك الداعم، إلى استراتيجيات التلاعب النفسي وإدارة التوقّعات كجزءٍ من الحرب النفسية، التي تقاد إلى جانب الحرب العسكرية، خصوصاً وأن أمد الحرب لم يتوقف عند الأسابيع أو الأشهر الأولى كما ظنّ وانتظر كثيرون.

وبالمناسبة، فإن التمدّد الزمني للحرب على غزة، مع انتهاء بنوك الأهداف، هو جزء أساسي من التلاعب النفسي، الذي يعوّل عليه العدو لانهيار الخصم، وتراجع قدراته على الصمود أو التحمّل أو المواجهة، ولكن هيهات، فمن دفع الأثمان الباهظة وآلاف الشهداء والتضحيات الخيالية، لم تعد تهمّه المواعيد والمواقيت.

المقصود بتشريح عمليات التلاعب النفسيّ في هذه الورقة البحثية، هو محاولة رصد كل الأدوات التي استخدمها العدو، للتأثير على الحالة النفسية للبيئة المقاومة، سواء في لبنان أو غزة (مثل البيانات والتصريحات والخطابات والأفعال والخطط والممارسات القتالية والإعلامية والاجتماعية والفكرية).

أما تعريف إدارة التوقّعات، فهو تعريف يختلف من ورقة بحثية إلى أخرى، تبعاً لأي مرجعية يستند عليها، سياسية كانت أو إعلامية أو شعبية، وأي سلوكٍ ممارسٍ وفي أي بيئة وأي توقيت. هذه الورقة، ستتناول إدارة التوقّعات استناداً إلى المواقف السياسية والإعلامية التي أطلقها الإعلام الإسرائيلي والأميركي، تجاه لبنان وغزة، خلال حرب طوفان الأقصى وحتى نوفمبر 2024.

أوّلاً: التلاعب النفسي. استراتيجيات وتقنيات

التلاعب النفسي (Psychological manipulation) هو نوع من التأثير الذي يهدف إلى تغيير نظرة الآخرين، أو سلوكياتهم، من خلال تكتيكات مسيئة أو خادعة أو خفيّة. ويقوم على ممارسة أساليب معينة للوصول إلى التحكّم بشخص ما، أو السيطرة على تفكيره لتوجيهه نحو سلوك معيّن، بهدف تحقيق غايات غير ظاهرة لدى الشخص المراد توجيهه، أم الجماعة التي يُعمل للتحكّم بها.

يشتمل التلاعب النفسي على مجموعة من المشاعر السلبية التي يوجّهها من يريد الاستهداف، ضمن ظروف معينة وأوقات محدّدة أيضاً، تكون مهيّأة للسيطرة وانتقاد الذات والاستنزاف لانفعالي. فيا يلي نستعرض بعض التكتيكات أو الاستراتيجيات التي روّجها العدو الصهيوني منذ بدء حرب طوفان الأقصى في 7 أكتوبر 2023 وحتى عدوانه على لبنان الذي بدأ في أيلول 2024.

1. قلب الأدوار وتزوير الحقائق

سعى الإعلام العبري منذ ما قبل 7 أكتوبر 2023 إلى استراتيجية قلب الأدوار، حيث عمد إلى الترويج بأن الكيان الإسرائيلي هو الضحية البريئة والمظلومة التي تتعرّض للاعتداءات الدائمة من قبل الفلسطينيين. منذ 7 أكتوبر روّج العدو الصهيوني أنه أُخذ على حين غرّة، وأن المقاومة الفلسطينية هي الجلاّد والقاتل والإرهابي. أدّى هذا الانقلاب في الصورة إلى طمس حقائق كثيرة لدى البعض، وإلى التباسٍ في فهم المجريات التاريخية والجغرافية، من أهمها حقيقة الاحتلال، وسياسة الاستيطان وارتكاب المجازر، وسياسة الحصار والتجويع وآلاف الأسرى في الزنازين الإسرائيلية. (تمظهر الموضوع في الإعلام الغربي، الإعلام الألماني الحكومي نموذجاً، للدفاع عن الصهيونية والعداء للمقاومة والتحرر).

تشكّل استراتيجية "قلب الأدوار" جزءاً من الدعاية العامة والقوة الناعمة للكيان الصهيوني، التي هدفت لخلق سردية تاريخية وحضارية معيّنة، لكن اللجوء إلى استخدامها الدائم في الظروف الحسّاسة، يحوّلها إلى تكتيك نفسي، له أهداف واضحة. يكفي أن يتذكر المرء هنا على سبيل المثال، حين خاطب نتنياهو العالم قائلاً، إن الجيش الإسرائيلي هو الجيش الأكثر أخلاقية في العالم.

من الطبيعي جداً، أن يلجأ الكيان الصهيوني بوصفه كياناً احتلالياً قائماً على اغتصاب الأرض وتهجير الشعب وإبادة السكّان، إلى تزوير الحقائق واستبدالها بسردياتٍ مختلَقة، تهدف لحماية مشروعه وللتسويق له. بقي الكيان الإسرائيلي يعمل على تزييف الوعي أكثر من 75 عاماً، زعم أنه أخذ أرضاً بلا شعب وبنى مدائن وثقافة، حتى جاءت حرب طوفان الأقصى وجعلت الكثيرين يعاودون قراءة التاريخ وبناء الأحداث ثم تصحيح الرواية. ونتيجة لذلك تحرّكت عواصم العالم الغربي والجامعات العلمية في العالم، وانكشفت شعارات كثيرة زائفة، مثل معاداة السامية والإبادة اليهودية والإرهاب الفلسطيني. تبيّن للملايين زيف السرديات التي سادت لعقود، من دون أن نغفل عن ملايين آخرين ما زالوا يصدّقون السرديات الصهيونية ويروّجونها.

2. تدفيع الثمن للجميع (استهداف المدنيين والمطاعم والمراكز والمباني والمدن)

إن تدفيع الثمن فعلٌ قتالي يوظّف في الميدان العسكري أكثر منه تقنية نفسية، إذ تستند نظرية تدفيع الثمن في العقلية الإسرائيلية، إلى استخدام العنف المفرط والقوة القصوى في التعامل مع الخصم للتأثير المدمّر عليه، لضمان أن التكلفة البشرية والمادية لأي هجوم مضاد ستكون باهظة جداً، ما يجعل الرد على الهجوم أمراً مكلفاً وصعبًا. لكن إدراج هذه الاستراتيجية ضمن التلاعب النفسي، يأتي بسبب الركون الإسرائيلي إليها بشكل كبير، حيث يعوّل العدو على

نتائجها النفسية، خصوصاً بالنسبة للخسائر التي يسبّبها ليس في الميدان العسكري على الجبهة، بل في البيئة الاجتماعية والجغرافية والبشرية للمقاومة، إذ ينتج عن ذلك أسئلة وجودية وعميقة، ربما تزعزع خيارات البعض، وهذا ما يراهن عليه العدو من وراء إجرامه.

عمل الكيان الصهيوني فعلياً منذ 14 شهراً (في غزة ثم في لبنان) على تدمير القرى والبلدات والمدن تدميراً ممنهجاً من خلال سياسة الأرض المحروقة، التي جعلت المناطق غير صالحة للسكن، ودمّرت البنى التحتية، وفجّرت المباني، لإلحاق المزيد من الأضرار والخسائر، وتدمير القاعدة الشعبية للمقاومة وجعلها تدفع ثمن دعمها، أو ثمن وجود المقاومة فيها.

إنّ تدفيع الثمن الباهظ جداً، واحدة من الاستراتيجيات التي تؤمّل إسرائيل أن تثمر ثورةً على المقاومة والمقاومين واعتبارهم سبب التدمير، تمهيداً للقيام بأعمال ضد المقاومة، لكن الأمر لم يحصل في غزة ولن يحصل في لبنان، بل على العكس: كلما زادت الهمجية الإسرائيلية كلما تبنّى الناس خيار المقاومة. لماذا؟ لأن الإجرام الصهيوني فاق التوقّعات، وبالتالي أسهم في خلق جوٍ من الكراهية الممزوجة بالثأر أيضا لدى الجماهير. إن الشخص الذي فقد عدداً كبيراً من عائلته في مجزرة بشعة، يدرك جيداً أن المقاومة ليست هي من قام بالأفعال الإجرامية، بل العدو الإسرائيلي الموغل في الدم اللبناني منذ عقود وعقود، فالعدو هو صاحب التاريخ الإجرامي والاعتداءات الهمجية والتاريخ يشهد. والسبب الثاني، أن بيئة المقاومة وامتداداتها الجغرافية هي بيئة متشرّبة للعقيدة الدينية الحسينية والكربلائية، حيث "الموت أولى من ركوب العار، والدعي ابن الدعي ركز بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله ذلك لنا، ورسوله، والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبيّة من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام". فمن تشرّب هذه العقيدة ستهون عليه كل التضحيات لقاء حياةٍ عزيزةٍ وكريمةٍ تخلو من اللئام والظالمين.

3. التخويف والتهويل (تدمير المباني والأحياء والمجمّعات)

في القراءات النقدية التي كان الكيان الإسرائيلي يُجريها للمراجعات والدراسة، كان يلوم نفسه على أنه استخفّ بخصمه، وأنه لم يعمل لاستئصال الخصم بشكل كليّ (حدث هذا بعد حرب تموز 2006 وبعد كل حروب غزة من 2008 وحتى 2022) لذلك عمل في حرب طوفان الأقصى، وفق استراتيجية عسكرية وقتالية تقتضي عدم الحاجة للعودة لاحقاً إلى الحرب. بمعنى أنه يتوجّب عليه الانتهاء بشكل نهائي من الخصم حتى لا يضطر لمواجهته من جديد. لذلك حملت هذه الحرب وجوهاً متعددة من التهويل والتخويف، اللذين تمثّلا في القوة النارية المبالغ فيها: قصف بآلاف الأطنان، مواد محرّمة دولياً، فوسفور، أحزمة نارية عنيفة جداً، تفخيخ المنشآت... استخدم هذا التدمير الخيالي والتهويلي في مناطق رملية في غزة، وفي قرى بعلبك والجنوب وفي الضاحية، حيث جاوز الإجرام الصهيوني كلّ التوقّعات. كان هذا

الاستخدام واحدة من استراتيجيات التلاعب النفسي الهادف إلى إضعاف النفوس وقهرها والتأثير السلبي فيها. وقد أسهب الإعلام المعادي في تناول موضوع "عقيدة الضاحية" والكلام الموسّع حولها، كمحاولة لزرع اليأس والخوف في نفوس الناس، وإظهار إسرائيل بمظهر المتفوّق والرابح والأقوى، بالإضافة إلى المهام التشغيلية التي أنيطت بالناطق بلسان الجيش أفيخاي أدرعي، الذي استخدم منصةX للبلاغات العسكرية وتعميم إنذارات الهدم والغارات والموت (وهذا أمر يحدث للمرة الأولى في تاريخ الحروب) من دون أن تتحرّك منصة آيلون ماسك أو تتحرّج، أو تنتبه للأعمال العدائية التي يطلقها من تطبيقها.

تمظهرت نتائج التهويل يالقلق النفسي لدى البعض، وبمشاعر الضيق والخوف والترقّب، وبنوبات عصبية، إذ يصعب على كثير من الناس أن يشاهدوا بأعينهم تهاوي أرزاقهم ومبانيهم وذكرياتهم وجنى عمرهم يختفي في لحظة واحدة، بفعل الهمجية الإسرائيلية. (كان العالم خلال السنوات الماضية يشاهد عبر التلفاز كيفية هدم الإسرائيليين لمنازل الشهداء والاستشهاديين، إما بالجرافات أو بالتفخيخ والتفجير، وتحوّل الأمر إلى استراتيجية دائمة للترهيب والإيلام).

ومع تحوّل الإرهاب الصهيوني إلى فعلٍ يوميٍ متكرر، فقد السلاح فعاليته، فما عاد التهديد يخيف ولا يُرعب، وصارت مجموعات كثيرة تنتظر مواعيد التهديم وقصف المباني، كي توثّق الإجرام الصهيوني للتاريخ والأجيال القادمة.

العقاب الجماعي

استخدم العدو الصهيوني العقاب الجماعي كأداة ترهيب لكل أطياف المجتمع اللبناني والفلسطيني أيضاً. وتهدف سياسة العقاب الجماعي إلى تحقيق نوع من الردع لدى الشرائح والمجموعات التي لا تتبنّى خيارات المقاومة. وهي تلتقي مع جوانب من نظرية تدفيع الثمن الباهظ، التي تستهدف الخصم فقط، لكن العقاب الجماعي يتوسّع نحو مجتمعات أخرى، وجغرافيا أخرى وفئات اجتماعية أخرى لا تتقاطع مع المقاومة.

لجأ العدو الصهيوني لكل وجوه العقاب الجماعي (وعزّزه الإعلام بهدف الترهيب). فاستهدف إيقاع أكبر قدر ممكن من الأضرار بالمدنيين والأبرياء. في غزة مثلاً، دمّر الجيش الإسرائيلي البنية التحتية المدنية، والمطاحن والمخابز والأسواق والمزارع ومحطات معالجة المياه ومنشآت المياه والكهرباء والمباني السكنية، وفي لبنان دمّر مئات المنشآت التي تعود لعامة الناس وللمواطنين، وبعضها مؤسسات رسمية للدولة، مثل البلديات، أو كاستهداف فرق الإسعاف وطواقم التمريض والدفاع المدني، وهذا التدمير ليس بالصدفة أو الخطأ، بل هو فعل عمدٍ وقصد له غايات توظيفية، في مجالات زيادة الضغوط، وتعميم الترهيب.

4. فيديوهات توثيقية مصوّرة للضغط النفسي والإيلام

قام العدو الإسرائيلي بنشر الكثير من الفيديوهات المصوّرة، الملتقطة عبر الطائرات المسيّرة أو الأقمار الاصطناعية أو من خلال كاميرات الجيش، بهدف استعراض القوة، وتوزيع المعنويات على الجيش والقيادات والشعب، وبهدف النيل من معنويات المقاومة، (مشاهد تفخيخ الأحياء في القرى/ مشاهد تنفيذ الغارات/ مشاهد المجاهدين/ فيديو السنوار)، لكن الأمر انقلب عليه وأدّى إلى نتائج عكسية ندم عليها كما حصل مع فيديو الشهيد السنوار، وكما حصل مع فيديو الشهداء الذين يقاتلون بروحية عالية جداً قبل استشهادهم.

بالمقابل، تملك المقاومة وضوحاً وشفافية تعزّز مصداقيتها، من خلال بياناتها اليومية، التي تؤرشف الوقائع وتحفظها للحاضر والمستقبل، وتجعلها مرجعيةً مركزية مهمة، للإعلام والسياسة وللتاريخ أيضا. وتملك الفيديوهات المصوّرة من داخل الأراضي الفلسطينية (هدهد 1و2 وغيرها) والتي تحمل دلالات رمزية متعددة، مع الالتفات إلى أن المقاومة أعلنت منذ فترة أن بحوزتها فيديوهات مصوّرة لسير العمليات البريّة، لكنها لن تنشرها الآن حفاظاً على بعض الخصوصيات.

بالعودة إلى حساسية موضوع الفيديوهات المصوّرة، التي استخدمها العدو كأداةٍ للتلاعب النفسي، فإنّه نجح إلى حدّ ما، في إثارة الشجون والضرب على الوتر العاطفي عند شرائح متعددة. تناولت جهات إعلامية وبحثية موضوع التأثير النفسي الضاغط لهذا الموضوع: أن يشاهد الإنسان مشاهد حيّة أو مباشرة عل الهواء تفجير منزله، أو تفخيخ أحياء بكاملها ومسحها من الوجود، أي آثار معنوية يخلّفها في النفس؟ وذهبت محطة بي بي سي البريطانية إلى أبعد من ذلك، إذ أنتجت خلال الأيام الماضية تقريراً عن الموضوع نفسه، استمعت فيه إلى شهادات مؤثرة لبعض (الجنوبيين) المعنيّين، الذين تابعوا على الهواء موت المكان الأثير لديهم، لم يخلُ الأمر من البكاء بسبب الألم الكبير الذي لم يستطع المشاركون في التقرير تجاوزه. "كأنّ الانفجار يحدث في قلبي"[1].

لا ننسى الجهة المقابلة، للناس المعبّئين فكرياً وعقائدياً بنهج المقاومة، الذين ملؤوا المنصات بمشاهد وقوفهم على أطلال منازلهم ومبانيهم وهم يرفعون رايات المقاومة وصور السيد نصر الله أو يهتفون "لبيك يا حسين وفداءً للمقاومة.

5. إخفاء الخسائر الإسرائيلية

إنّ إخفاء المعلومات وقوانين الرقابة ومنع النشر، كلها محاولات إسرائيلية لعدم كشف أي نقطة من نقاط ضعف الكيان المؤقت أمام المقاومة. يبذل الكيان الإسرائيلي جهوداً جبارة لمنع أي

---

[1] - تقرير تلفزيوني على بي بي سي بعنوان: الجيش الإسرائيلي ينسف أحياء كاملة في قرى حدودية "كأن الانفجار يحدث في قلبي، أعدّته كارين طربيه من بيروت وأذيع يوم الاثنين 18 نوفمبر/ تشرين الثاني 2024. للمشاهدة:
https://www.bbc.com/arabic/articles/cj9n438pg8mo

معلومة من التداول، خصوصاً المعلومات الميدانية التي تتعلّق بالخسائر القتالية والعسكرية، وذلك لهدفين: الأول عدم التأثير السلبي على جنوده، والثاني عدم إعطاء معنويات عالية للمقاومة. وصلت العقوبات المتعلّقة بنشر بعض المعلومات، إلى الملاحقة القضائية والغرامات المالية وإقفال بعض المواقع الإعلامية التي نشرت معلومات معينة عن الخسائر. وهذا نموذج واضح جداً عن مدى التلاعب، ليس النفسي فقط، بل السياسي والإعلامي.

على الرغم من المنع والرقابة، إلّا أن أعداداً لا بأس بها من المستوطنين يلتقطون صوراً عابرة وسريعة، للصواريخ أو للدمار أو للخسائر، ويمررونها بوسائل التفافية، مع العلم أنّ ذلك يعرّضهم للملاحقة والعقاب، لكن بعض الصور المسرّبة تنتشر وتصبح في متناول الجميع. والمفارقة أن العدو الصهيوني لا يستطيع أبداً أن يتحكّم بنتائج بعض الضربات، كما يحصل مع الصواريخ الثقيلة التي تنزل على تل أبيب أمام أعين الجميع، في مناطق مأهولة في شوارع تل أبيب أو سواها حيث تندلع النيران وتعمّ الفوضى، ويشتغل النقل المباشر لكل الوسائل الإعلامية، حينها يصبح إخفاء الأمر مستحيلاً. (نموذج ما حصل مساء الإثنين 18 نوفمبر 2024 مع إطلاق صاروخ باليستي ثقيل على تل أبيب، نتج عنه قطع المواصلات وإقفال المطار ونشوب حرائق متعددة، بالإضافة إلى حالات الهروب الجماعي وطلب النجدة وسقو القتلى والجرحى، والانهيارات النفسية.

6. المضايقة الفكرية

هي استراتيجية شائعة، يعتمدها الخصم للإقناع بفكرة أو أمرٍ ما، عبر استخدام الحجج والأفكار والدراسات والأرقام والحشو الكلامي الزائد، لإقناع الأطراف بموضوع معيّن، معتمداً الإفراط المعلوماتي، حتى يجد المتلقّي نفسه شبه مقتنع بما يُعرض أمامه، نظرًا للطروحات الضخمة التي تجعله يشعر بضآلة منطقِهِ بالمقارنة مع كل ما عُرض. تعتمد السياسة الصهيونية هذا الإغراق الإعلامي عبر أدواتها الأصيلة والوكيلة، التي تحشد روايات ووقائع غير حقيقية، وتختلق سرديات مزعومة، تُغرق بها المحافل الدولية والإعلام العالمي. يُلاحظ هنا: الحرب الشعواء التي قادها الكيان الصهيوني ضد الأمم المتحدة بحد ذاتها، بعد أن مرّر الأمين العام غوتيريش بعض المآخذ على الكيان المحتل، أو تلك التهم والروايات التي سيقت ضد المحكمة الجنائية التي طالت بإنهاء الإبادة الإسرائيلية للشعب الفلسطيني. وقد وصلت المضايقة الفكرية التي خاضها العدو الصهيوني ضد وكالة الأونروا مثلاً، إلى توقّفها عن العمل نهائياً في قطاع غزة، وثمة مخاوف من توقّفها الكامل عن مساندة البيئات الخاصة باللاجئين الفلسطينيين. مورست المضايقات الفكرية في الإعلام المعادي للمقاومة أيضاً، من خلال المحاولة الساعية لإدانة حرب الإسناد واتهامها بأنها السبب المباشر للخراب والتدمير والخسائر التي لحقت بلبنان.

ثانياً: إدارة التوقعات

أشرنا في البداية إلى أن إدارة التوقّعات، تعني كيفية توجيه المواقف السياسية والإعلامية، التي أطلقها الإعلام الإسرائيلي والأميركي، تجاه لبنان وغزة، خلال حرب طوفان الأقصى وحتى نوفمبر 2024. والهدف الظاهر من إدارة التوقّعات هو جرّ التفكير إلى حيث يريد الأميركي والإسرائيلي، ما يعطي مشروعية أكبر للسردية الإسرائيلية على حساب الرواية الفلسطينية أو اللبنانية، وما يساعد على وصول العدو إلى حيث يريد.

سعت أميركا وإسرائيل منذ أكثر من ربع قرن لامتلاك الأدوات الإعلامية الخاصة في المنطقة العربية. وهذا أمرٌ معروف، بهدف التأثير على الرأي العام بعد هزيمة إسرائيل في العام 2000. يوجد اليوم في المنطقة العربية مئات الفضائيات التي تنطق باسم العدو الإسرائيلي بطريقة مباشرة وغير مباشرة. هذا الإعلام المأجور أدّى دورا مساعداً للعدو بشكل كبير، بسبب توجّهه للجماهير العربية أولاً، وبسبب طروحاته الفكرية والثقافية التي يتبنّاها ويروّج لها، مثل التطبيع وتعميم السرديات الصهيونية. منذ حرب طوفان الأقصى دأب هذا الإعلام العربي المأجور، على تسويق أفكار الهزيمة ولا جدوى المقاومة، وحمّل المقاومة مسؤولية الدماء والضحايا والخسائر. إنّ وظيفة هذا الإعلام هي التسويق للهزائم التي تسبّب الأمراض النفسية، وتجعل المرء يفقد ثقته في نفسه، ويشعر باليأس أو الإحباط أو عدم القدرة على المواجهة.

1. التحديد الاستباقي لنتائج وتأثير العمليات العدوانية

إن انتقائية نشر بعض المواضيع وإغفال مواضيع أخرى، تشكّل نوعاً من أنواع التحيّز الإعلامي الهادف إلى خلق رأي عام معين. مثلا: الإعلام الذي ينشر أخبار الخسائر البشرية والمادية في لبنان وغزة، من دون الالتفات ولو قليلاً إلى موضوع الخسائر الإسرائيلية، العسكرية والنفسية والمعنوية، هو إعلام يسعى لتحريك الجماهير وفق ما يريد العدو، ويسعى إلى تسويق اتجاهاته وأفكاره ليتبنّاها المتلقّي من دون أن يشعر.

بعد خبر استشهاد الأمين العام لحزب الله، على سبيل المثال، عمل الإعلام الإسرائيلي والأميركي على إطلاق الأخبار والحوارات والنقاشات **حول استسلام حزب الله ونهايته التاريخية**. كان الهدف واضحاً، وهو استثمار التلاعب النفسي وإدارة التوقّعات كي يبقى

الجمهور خاضعاً ومتأثرّا بما يقال له وبما يُملى عليه، ليقع تحت التأثير النفسي، عبر توجيه الأخبار وانتقاء المواقف.

2. التضليل والخداع

التضليل والخداع من أقدم الأساليب والاستراتيجيات المستخدمة في الحروب، وما زال الكيان الإسرائيلي المؤقت يعاني من تأنيب ذاته وجَلْدِها، لأنه اعتبر أنّ حماس خدعته وضلّلته قبل 7 أكتوبر 2023، وبالتالي فهو الأجدر بالمراوغة والتضليل، لماذا؟ لأنه صاحب التاريخ الطويل والعميق من الخداع، الذي بدأ منذ وعد بلفور وبداية تأسيس المستوطنات، مروراً بكل المحطات السياسية التي خاضها، والمجازر التي ارتكبها. أما السبب الثاني والأهم، والأكثر إيلاماً للإسرائيلي، فهو سبب يمتد في "اللاوعي الإسرائيلي"، إذ لا يستطيع الإسرائيلي أن يتخيّل "الفلسطيني القوي" الفلسطيني صاحب المبادرة، غير الخاضع، وغير المستكين، الذي يتوسّل منه منذ سبعة عقود، حقوقه ومطالبه وأرضه وأمنه وأمانه، وهو الذي يمارس عليه حصاراً خانقاً من 75 عاماً، كيف لهذا الفلسطيني أن يصبح فجأة قوياً وغير خاضع؟ ومواجهاً؟ وغير خائف ولا خاضع ولا مستكين للإرهاب الإسرائيلي؟ هذه النقطة بالتحديد هي التي أذلّت الكبرياء الإسرائيلي، وجعلت نتنياهو منذ الأيام الولي يعلن الحرب الوجودية، التي لم تكن مألوفة في الخطاب الصهيوني لدى قادة العدو، على الأقل منذ أوسلو حتى اليوم.

من نماذج الخداع والتضليل: في الحرب على غزة، كان العدو يعلن عن انتهاء مرحلة معيّنة من العمليات العسكرية، لكنه بعد ساعات يعود ليشنّ مجازر أكثر دموية، مغتنماً حالة الطمأنينة البسيطة التي قد تكون سادت لدى البعض لإيقاع المزيد من الخسائر والضحايا. وفي الحرب التدميرية على لبنان قدّم إنذارات في أماكن معينة، ثم اغتنم الفرصة لهدم منشآت وأبنية أخرى. ليس الكيان الصهيوني من مارس الخداع والتضليل وحده، فأميركا، الشريك الرسمي في الإبادة، مارست الدور نفسه في لعبتها الإعلامية المكشوفة، حين أعلنت مراراً أنها ضد إسرائيل، وأنها غير راضية عن أفعالها العُنفية، وأنها ستقلّل إمدادات السلاح والعتاد الحربي، بينما في الحقيقة، لم يتوقّف الجسر الجوي الحامل آلاف الأطنان من الأسلحة الأميركية الثقيلة التي تسبّبت باستشهاد الآلاف حرقاً وخنقاً وذوباناً تاما.

3. التوقّعات حول أمد الحرب

حين بدأت الحرب الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني في أعقاب 7 أكتوبر 2023 هل اعتقد أحدٌ يومها أنها ستمتد إلى إبادة شاملة تتجاوز العام أو الأربعة عشر شهرا؟

في الأعمّ الأغلب، لم يتخيّل أحد أنها ستتحوّل إلى إبادة كاملة للشعب الفلسطيني، خصوصاً أنها لاقت مساندات شعبية من كل شعوب العالم التي خرجت وتظاهرت وطالبت بوقف العدوان، وكان هناك مطالبات رسمية في بعض الدول بإيقاف الحرب، لكن المشكلة كانت في تعنّت نتنياهو الذي عانَدَ العالم كله وبقي مصرّاً على الحرب. وأمام هذا الواقع شهدت حالة التوقّعات المتعلِّقة بأمد الحرب، حالة من التأرجح الدائم والتشويش في وضوح الرؤية. وحده نتنياهو لم يتخلّ يوما عن شعاره "هذه الحرب ستستمر" ما جعل التوقّع بأمد الحرب مرهوناً بخطاب رئيس الوزراء الإسرائيلي، الممسك بزمام الأمور كلها، والمصرّ على استمرارية الحرب. وفي مراجعة تلقائية لمعظم ما ورد في الخطاب الإعلامي للصحافيين والسياسيين والمقابلات والتصريحات، لم يشر أحدُ بصراحة إلى "قرب انتهائها"، بل كان التعبير السائد بأنها مستمرة ولا مؤشرات على قرب انتهائها. وحدها الأوساط الشعبية وطبقات العامة من الناس، يتحدّث أفرادها منذ شهور بأنها "ستنتهي قريباً"، وهذا عائد إلى نظرية نفسية مألوفة، مفادها أن الإنسان يرى الأمور غالباً وفق ما "يتمنى ويرغب به"، وهذا ما يجعله غافلاً عن بعض الحقائق.

وعطفاً على السؤال المطروح في أول الفقرة، ثمة سؤال ثان: هل اعتقد أحدُ قبل عام أو قبل عدة شهور -مجرد اعتقاد- أن العدو الصهيوني سيغتال السيد محسن شكر والحاج إبراهيم عقيل؟ ومعظم قيادات حزب الله؟ وسيغتال الأمين العام سماحة السيد نصرالله؟ ثم سيبدأ هدماً وتشريداً في الجنوب وبعلبك والضاحية؟ وأن الغارات ستصل إلى زغرتا وعكار وبحمدون وقلب بيروت؟

الإجابة الغالبة: لم يعتقد أحد أن العقلية الصهيونية الدموية ستفعل ما فعلته. وبالتالي، لم يعد هناك قيمة فعلية لتوجيه التوقّعات حول أمد الحرب، تطول أو تقصر، بعد التضحيات الكبيرة جداً التي دفعتها المقاومة.

ومن باب الموضوعية العلمية، ينبغي الإشارة إلى أنّ أحداً -في لبنان وخارج لبنان- لم يجرؤ على القول أو الإعلان، أن الحرب ستنتهي بعد أيام أو أسابيع. وقد أشار الأمين العام لحزب الله سماحة الشيخ نعيم قاسم، في خطابه (الثالث على الأرجح) إلى أن الحرب "تبدو طويلة" وهي الجملة الأكثر تداولاً على ألسنة معظم السياسيين والصحافيين والعارفين، منذ شهور. وفي كلمته بتاريخ الأربعاء 20 نوفمبر 2024 قال الشيخ قاسم: "نحن أعددنا لمعركة طويلة" و"ليس لدينا إلا قرار واحد: الصمود والاستمرار حتى لو طال الزمن"، وفي كلتا العبارتين/النموذج، دلالة على الأخذ بالحسبان أن الحرب قد تطول.

خلاصة هذه النقطة: لم يكن هناك أي إدارة ممنهجة للتوقّعات المتعلّقة بأمد الحرب، سواء الحرب على غزة أو على لبنان. في الحرب على غزة اتّجهت معظم المواقف للحديث عن أمدٍ

مستمرٍ وطويل، وفي الحرب على لبنان توجد بعض الجهود الدبلوماسية التي تسعى لمحاولة وقف الحرب ليس حبّاً بلبنان، بل تخفيفاً عن العدو الصهيوني.

4. التوقّعات حول نتائج الحرب

تختلف إدارة التوقعات بحسب الجهة التي يصدر عنها التوقّع. فقد ذكر رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في معظم خطاباته، أن هذه الحرب لن تنتهي إلا بتحقيق النصر له وللكيان الغاصب ولجيشه، وبنهاية حماس وحزب الله. وتتحدّث خطابات المقاومة ومواقف قياداتها عن النصر الحاسم الذي سيكون خاتمة التضحيات مع نهاية الكيان الصهيوني. في بدايات معركة طوفان الأقصى، ساد توقّع بأنَّ مصر ستفتح حدوها لإدخال الغزّيين إلى سيناء، لكن الأمر لم يحصل لأسباب سياسية وحسابات إقليمية. ولطالما حذّر الشهيد الأسمى سماحة السيد حسن نصرالله من الأطماع الصهيونية التي ستكون نتائج دائمة لكل مرحلة، وكرّر توقّعاته بأن العدو الإسرائيلي كلما انهى صراعه مع بلد سينتقل إلى بلد آخر، وذكر الأردن ومصر وغيرهما.

- يمكن الحديث هنا عن توقّعات قريبة وتوقّعات بعيدة. وعن توقّعات محلية وأخرى خارجية.
- هناك توقّعات إقليمية بعيدة ذكرها البعض مثل: تهجير الفلسطينيين من غزة، ولاحقاً من الضفة، وشتات جديد. والبعض يستبعد هذا التوقّع.
- هناك توقّعات قريبة تحدّث عنها بعض اللبنانيين أيضاً مثل: انتخاب قائد الجيش رئيساً للجمهورية، تحجيم الدور السياسي لحزب الله مستقبلاً، إنهاء كل قدراته العسكرية والقتالية ونهضة اقتصادية ومالية كالتي تعقب الحروب عادة.
- ومن التوقّعات المروّج لها: العودة إلى مسارات التطبيع وبدء العمل باتفاقيات أبراهام في أكثر من دولة عربية خصوصاً في الخليج ومصر.

5. التوقّعات حول نتائج المفاوضات

إنّ إدارة التوقّعات بشأن النتائج المرتقبة من أي مفاوضات تدخل في دائرة التلاعب النفسي أكثر من النقاط الأخرى، لأنّ نتائجها ترتبط مباشرة بالناس، وبحركة المجتمع الذي يسير وفق إيقاعها، ومن شأنها أن تكون سبباً لحالة نفسية جيدة مفعمة بالأمل، أو العكس.

عاش أهل غزة أكثر من سنة يتابعون أخبار المفاوضات التي تجري، أملاً بالوصول إلى اتفاقيات تخفّف عنهم الدمار والموت والمجازر اليومية، أو على الأقل العودة إلى الأماكن التي نزحوا عنها، لكن الانتظار لم يصل لأي نتيجة. وفي لبنان كذلك، انشغل الناس بمتابعة حركة

الموفدين والديبلوماسيين على أمل أن يستطيع أحدٌ إيقاف المجازر اليومية التي يقوم بها الكيان الصهيوني. لكن الذي حصل على أرض الواقع هو "المراوحة" بين حركة مفاوضين، تصريحات ومواقف، ترقّب وآمال، ثم اللاشيء.

إنّ الدوّامة المتكرّرة من الوعود، بإعطاء الأمل للناس ثم انكشاف أنه لا يوجد أي حقائق ملموسة، ولا منجزات فعلية، ينتج عنها تشوّش الحالة النفسية بين الانتظار والترقّب ثم الخيبة والإحباط. وقد كرّر العدو الصهيوني هذه اللعبة النفسية مراراً، منذ بداية طوفان الأقصى ولغاية اليوم، وانتقل هذا التلاعب من الساحة الفلسطينية إلى الساحة اللبنانية، بحيث يعيش الكثيرون على أمل الحلول القريبة أو العاجلة، ثم يكتشفون حقيقة الواقع وأن لا حلول قريبة. إن حالة المراوحة بين التعلّق بالأمال ثم عدم تحقّقها، يترتّب عليها الشعور بعدم الثقة لاحقاً بأمور حياتية متعددة، إضافة إلى اليأس والإحباط وفقدان الدافعية واللامبالاة. وقد تتجاوز النتائج المترتبّة على هذه المراوحة حالة الشك والإحباط وعدم الثقة، إلى التأثير السلبي على الصحة العقلية للفرد، نتيجة الخيبات المتكررة وما ينتج عنها من نقمة وشعور بالخذلان أو الخسارة.

هذا التلاعب النفسي في إدارة التوقّعات، في حال عدم تحقّق الهدف المنشود، يؤدي إلى زعزعة الثقة، الخوف من المستقبل ومن المجهول، الإحساس بالضعف أو العجز، الإحساس بالدونية، الاستياء العارم، زيادة التوتر والضغط.

قد تنتقل المشاعر السلبية كالإحباط والخوف وانعدام الثقة إلى العلاقات الأخرى والفرص المستقبلية.

التوقّعات حول خسائر الحرب

تحتاج تقديرات الخسائر (على مستوى التكلفة المادية والمالية) إلى أشخاص متخصّصين في معرفة الأمور الاقتصادية وحُسن التقدير، لأن الناس غالباً ما يلتقطون أرقاماً مضخّمة -أو دونية- تحدّد كلفة الخسائر. وبمعزل عن أي نقاش، فإنَ التوقّعات بشأن خسائر الحرب في لبنان وغزة، هي خسائر كبيرة وباهظة، لا شكّ بذلك، نظراً لحجم الاعتداءات وسياسة الأرض المحروقة التي اتّبعها العدو في سياسته الإجرامية.

وفيما يتعلّق بإدارة التوقّعات المتعلّقة بالخسائر، يمكن لحظ النقاط التالية:

- هل هذه الخسائر الكبيرة، يمكن تعويضها أو يصعب؟ الإجابة هنا أن الخسارة المادية والعمرانية يمكن تعويضها. وأن الخسائر البشرية لا تعوّض.

. النقطة الثانية: كم ستستغرق هذه الخسائر من الوقت لإعادتها وتعويضها؟ من الواضح أن عنصر الزمن يراوح بين عدة سنوات.
. النقطة الثالثة: كيف ستؤثر مستقبلاً على هجرة الرساميل والأشغال والتراجع الاقتصادي. أم أن التوقّع سيكون مقلوباً، بمعنى أنّ هناك نظرية تتحدث عن تدفّق الأموال وزحمة المشاريع وكثرة الفرص المهنية والعملية والبيع والشراء بعد الحروب. فأيّ اتجاهٍ من الاحتمالين قد يحصل؟ لا أحد يستطيع التنبؤ.
. النقطة الرابعة والأهم: من سيغطّي خسائر الحرب؟ في ظل الحصار والأزمة المالية وبعد سرقة أموال البنوك والإحجام الدولي ومنع إيران من المساعدة؟ هل سيستطيع أبناء البلد تعويض كل الخسائر بمساعدة المغتربين والمبادرات الفردية؟ ربما مازال الوقت مبكراً لبحث الاحتمالات لكن التوقّعات شائكة هنا.
. النقطة الخامسة: كيف سيكون التعويض وإعادة الإعمار؟ عبر الشركات الخاصة؟ أو عبر الدفع النقدي؟ أو بتقديم بدائل جاهزة؟ مازال الأمر ضبابياً بشكل كامل.

كل هذه نماذج وعيّنات من الاتجاهات المسيطرة اليوم، في موضوع إدارة التوقعات حول خسائر الحرب، وقد يحتاج المرء إلى عشرات الصفحات لوضع الاحتمالات والمقترحات ودراستها، لكن أي خطوة قبل انتهاء الحرب لن يكون لها قيمة فعلية، لأن الخطط التنفيذية تختلف كثيرا عن التصوّرات النظرية.

6. التوقّعات حول التداعيات السياسية للحرب

التوقّعات المتعلّقة بالتداعيات السياسية للحرب رشح شيء منها، خصوصاً لدى الجانب الإسرائيلي. مثل:

. الشرخ السياسي العميق بين القيادات والمسؤولين ورؤساء الأحزاب والمتديّنين والعلمانيين.
. توقّع الأزمات السياسية الدائمة في المجتمع الإسرائيلي التي ستساهم في خلخلة الكيان وأمنه ووجوده.
. تراجع الثقة بالمستوى السياسي ورموزه في الكيان المؤقت. ويترتّب على هذه النقطة تراجع اجتماعي واقتصادي.

على المستوى اللبناني:

. انكشاف مزيد من الشرائح اللبنانية المعادية والخبيثة التي أظهرت نواياها السيئة علناً. كما فعل الشامتون أو المدافعون عن إسرائيل الذين لا يعتبرونها عدوّا.

- انكشاف الشرائح النظيفة والمخلصة أيضاً، التي لم تغرها الأطماع ولا الوعود، بل حافظت على ثبات تموضعها في الخط المقاوم.
- احتمال المجيء برئيس جمهورية خاضع للإملاءات الأميركية، وهو الموضوع الذي أثارته أوساط متعددة منذ اليوم الأول لاغتيال سماحة السيد نصرالله. ويُحكى عنه اليوم بوتيرة أعلى، بمعنى انه قد يُفرض فرضاً على لبنان.
- يوجد تداول كلامي يروّج لـ انتهاء سيطرة حزب الله وانتهاء فائض القوة والغطرسة وانتهاء زمن السلاح والتحكّم بمقاليد الأمور.
- احتمال عودة سعودية وأجنبية وخليجية إلى المشهد اللبناني.
- احتمالية التجرؤ على كلام حول اتفاقيات مع الكيان.
- جعل المستوى السوري تحت التهديد الدائم، خصوصاً فيما يتعلق بإمدادات السلاح ودعم المقاومة، تحت طائلة عودة داعش والإرهاب والحصار الخانق.

7. إدارة التوقعات في الإعلام الأميركي

شغل الإعلام الإسرائيلي والأميركي العالم كله، بتوقّعات التوجّه السياسي للرئيس الجديد المنتخب. مع العلم أنّ أي رئيس أمريكي يأتي، هو خادم مطواع للمشروع الإسرائيلي، ولا يتجرأ على توجيه كلمة واحدة ضده. حاول الإعلام الإسرائيلي والأميركي أيضاً، الإيحاء بأن الانتخابات الأميركية سيكون لها تأثير مباشر على الحرب والعمليات العسكرية في غزة ولبنان، ما جعل البعض يبني أحلاماً وأمنيات غير واقعية، عن انتهاء الحرب سريعاً وتوقّف الإجرام الإسرائيلي، وهو الأمر الذي لم يحصل. وما زال الإعلام الأميركي والإسرائيلي بالمناسبة، يلعب الدور النفسي ذاته، من خلال توجيه التوقّعات بعيداً عن مجريات الكواليس السياسية. على سبيل المثال، كل ما يحصل عند زيارات الموفد الأميركي هوكستين إلى لبنان، حيث تسبقه الآمال والأخبار الوردية، لمحاولة التأثير على الناس والمعنيّين، ثم يتبيّن لاحقاً أنه لم يكن يحمل إلاّ الإملاءات والشروط الإسرائيلية.

خاتمة وتوصيات

خاض الإعلام الإسرائيلي والأميركي منذ أكتوبر 2023 حرباً إعلامية موازية لحربِه العسكرية ضد فلسطين ولبنان، وما زال يستكملها مستخدماً تقنيات التلاعب النفسي، بهدف إدارة التوقعات حسب مصلحته في محاولة للهيمنة على الرأي العام، أو لصناعة رأيٍ عام يتبنّى طروحاته ويروّج لها. لذلك ينبغي الانتباه والالتفات إلى ضرورة:

* إهمال المواقف الإسرائيلية التي تمجّد قوة حزب الله أو قدراته، لأن المقاومة لا تحتاج شهادة حسن سلوك من عدوها، ولأنّ قراءة هذه المواقف انعكست بشكل سلبي على البعض، إذ ربما ساهمت في سوء تقدير بعض المواقف.
* الانتباه للنظريات السياسية التي يتم الترويج لها حالياً عبر الإعلام المعادي للمقاومة، مثل طروحات التمهيد للسلام القادم، واحتمالية العودة لاتفاق ما مع الكيان الإسرائيلي، وعودة لبنان إلى المحور الأميركي.
* ملاقاة السرديات الإسرائيلية الكاذبة بالوقائع الحقيقية، ونشرها وتعميمها عبر كل الوسائل المتاحة.
* تعزيز فكرة ثمن الحرية والكرامة والنصر، أنه ثمن لا يقاس بالخسائر المادية والعمرانية ولا حتى البشرية كي يفهم العدو الإسرائيلي أن سياسات تدفيع الثمن غير مجدية مع المقاومة.
* العمل الجدي لملاقاة التوقّعات السلبية التي يسعى لها العدو وأعداؤه. أولا كي لا يفعل عنصر المفاجأة فعله، وثانياً كي لا يتعرض المجتمع اللبناني لصدمة أخرى نتيجة التحوّل في السياسة، وثالثاً كي تستطيع البيئة المقاومة الحفاظ على حضورها قدر الإمكان. (رئيس جمهورية غير حليف/ تطبيع مع العدو...).